الـمــوت..
ما الموت؟.. وكيف يموت الإنسان؟

هو بلغة المنطق خروج الروح من الجسد بأمر اللَّه سبحانه وحده، ولم يعط أحداً من خلقه هذا الحق. .فالأمر من اللَّه سبحانه والتنفيذ من الملائكة الذين اختصهم في قبض الروح.

هذه سنة اللَّه سبحانه في خلقه ومنذ أن خلق آدم عليه السلام وحتى يوم القيامة. . .وهذا(الموت) لن تجد له البشرية أي مخرج ولن تستطيع منعه مهما أوتيت من علم ومعرفة ومهما وصلت طبياً وتشريحياً إلى معرفة أسرار الجسد حتى لو وصلت يوماً إلى فك رموز الجينات البشرية (**DNA**) ومعرفة خرائطها التكوينية.

فاللَّه سبحانه أعطى العقل البشري حدوداً في العلم قد تصل إلى أعلى وأرقى بكثير من المستوى الذي وصلت إليه الآن، على الرغم من انبهارنا لما نراه من اكتشافات علمية وعلى كامل أصعدة الحياة المادية.

. . . ولكن في النهاية يبقى العقل ضمن حدود (العقل البشري) المجهز بإمكانيات مسبقة من اللَّه سبحانه. .وهو أعلم بحدوده العليا وأنه يتوقف عند حدود الهرم والموت، وليس له من دونهما حيلة أو مخرج ولن يستطيع إبطالهما أو إلغاءهما أو حتى معرفة أسرارهما. .فالخلية (النطفة) مبرمجة في أساس الخلق على مراحل النمو والتطور ثم الهرم والموت. .مثل سنن اللَّه سبحانه في هذه

الحياة وهذا الكون كله.. فالهواء مثلاً برمج على نسب معينة من الأوكسجين والهيدروجين والكربون بما يلزم للحياة، أو قل حياة الإنسان على الأرض والبشرية مجتمعة لا تستطيع ولا تملك حيال تغيير النسبة المقررة مسبقاً من الخالق حولاً ولا قوة... وما ينطبق على مثال الهواء ينطبق على مثال الماء والتراب.. والأمثلة في هذا الأمر كثيرة.

... فكل أمر مهما كبر أو صغر هو من سنة اللَّه لا يتبدل ولا يتغير حتى يرث اللَّه سبحانه الأرض ومن عليها... والدليل هذا التاريخ الطويل للبشرية التي لم تستطع من خلاله أن تغيّر أو تحول أو تبدل من سنة اللَّه شيئاً، وقد بيَّن سبحانه أمره وإرادته في هذه الحياة التي تعيشها البشرية منذ أن خلقها وإلى أن يرث الأرض ومن عليها يوم القيامة.

قال تعالى:

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٣٨]

وقال تعالى:

﴿ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾.

[سورة غافر، الآية: ٨٥]

وقال تعالى:

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٦٢]

وإذا قلنا: إن البشر لم يصلوا فيما مضى من تاريخ حياتهم إلى ما

وصلوا إليه في العقود الثلاثة الماضية من تطور علمي مذهل فقد استطاعوا أن يصلوا إلى الخلية وبعض علمها مما أوصلهم إلى استنساخ نعجة دون استعمال الحيوان المنوي والمعروفة باسم (النعجة دولي)... وكذلك فإنهم استطاعوا أن يصلوا إلى علم المورثات والذي من خلاله قد يصلون إلى كشف جميع الأمراض المستعصية.. كالسرطان.. والإيدز.. والأنفلونزا.. إلخ[١].

...ونحن بدورنا نقول: إن البشرية وفي خلال العقود القادمة ستصل إلى أبعدَ من هذا بكثير، وليس هنالك سقف محدود لتلك العلوم وتلك الاكتشافات الكونية، ولكن في النهاية تبقى في حدود ما أراد اللَّه سبحانه وما شاء، إلى جانب أن القدرات الإنسانية أخيراً لها طاقة معلومة... فالعلم ليس له حدود.. ولكن الإنسان ذاته له حدود معرفية يتوقف عندها تماماً.

قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾.

[سورة البقرة، الآية: ٢٥٥]

...ومع ذلك فإن هناك إشاراتٍ قرآنيةً كريمة تشير إلى أن الإنسان سيصل قبل يوم القيامة إلى علم وازدهار كبيرين من خلال العقل البشري المخلوق بقدرة اللَّه سبحانه.

...وإذا عدنا إلى الإنسان وجسده وقدراته المستقبلية على التحكم بهذا الجسد نقول أيضاً: إن العلم قد يصل إلى فك رموز هذا الجسد بالكامل، وربما يتحكم به تحكماً دقيقاً، ولم يعد أمام العلم حاجز يمنع من الوصول إلى أسراره الدفينة، إلا أنه عاجز أمام حاجزين: حاجز الهرم وحاجز الموت...وأما ما دونهما فإن اللَّه

(١) كتابنا الاستنساخ البشري بين الحقيقة والوهم.

سبحانه خلق كل شيء بنظام التضاد، وكل داء له دواء عَرَفه من عرفه وجهله مَن جهله وقد بيَّن لنا رسول اللَّه ﷺ هذا الأمر.

. . .عن أبي سعيد رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« إن اللَّه تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له دواء علمه من علمه وجهله من جهله إلا السام وهو الموت ».

[رواه الحاكم]

فقد قرر رسول اللَّه ﷺ. . . أن الإنسان بجهده وعلمه وتعلمه يستطيع أن يصل إلى أعلى مستويات العلم والتِّقنية في جسد الإنسان. . إذ أن اكتشاف الدواء يحتاج إلى دراسة الجسد دراسة مستفيضة، فإذا ما وصل الإنسان إلى دواء كل الأمراض فمعنى ذلك أنه استطاع أن يصل إلى أسرار هذا الجسد. . وأما الحقيقة الثانية فهي أن الإنسان مهما أوتي من العلم وإلى أن تقوم الساعة لن يملك حيال (الموت) مخرجاً ولا دواء ولا مهرباً. . تماماً مثلما قرر رسول اللَّه ﷺ في حديث آخر أن الإنسان لا يمكن له أن يعالج أو يكتشف دواء للهرم.

. . .عن ابن مسعود رضي اللَّه عنه قال: قال رسول اللَّه ﷺ:

« إن اللَّه لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء إلا الهرم فعليكم بألبان البقر فإنها ترمُّ من كل الشجر ».

[رواه الحاكم]

لأن كل شيء خلقه اللَّه سبحانه في الدنيا سواء أفي الكون أم في الأرض أم في الإنسان فقد جعل له عمراً افتراضياً، وهذه سنة اللَّه سبحانه التي أحكمت والتي لا تملك البشرية حيالها أي تغيير أو تبديل أو تحويل.

قال تعالى: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

[سورة الأحزاب، الآية: ٦٢]

... فالهرم والموت أمران لا مناص للبشرية منهما... وهذه السنة الإلٰهية هي الإرادة الإلٰهية بالبشر، لأن الدنيا ليست غاية بل هي وسيلة لما أراده اللَّه سبحانه، فالدار الآخرة هي الغاية والهدف من الوجود الإنساني والخلق الإلٰهي على هذه الأرض، لأن مَنزِلَ البشرية الدائم هو الجنة أو النار، والدنيا دار ضيافة مؤقتة أو محطة استراحة أو كرجل استظل بظل شجرة وارتحل.

ولكي لا يكون للبشرية حجة على اللَّه سبحانه، أرسل لهم الرسل مبشرين برحمة اللَّه في الآخرة التي أرادها لهم ومنذرين من فتنة الدنيا، بأن يجعلها الإنسان غاية فيركن لها ويطمئن بها ويسعى إلى شهواتها وملذاتها، ناسياً أو متناسياً أو عامداً أو متعمداً لعدم ثقته بالآخرة وبالعودة بعد الموت، هذا الموت الذي استسلم له الإنسان كحقيقة واقعة أمام عينيه، وابتعد عن الآخرة كحقيقة ليست واقعة تحت عينيه، ونَتاج هذا عدم ثقته باللَّه سبحانه، وبأنه سيعيده إلى الآخرة مرة أخرى.

ولطالما أن الموت هو النهاية الطبيعية للإنسان فيجب أن يتوقف عنده كل إنسان وَقْفَة مطولة وبتفكير واعٍ وعقل راجح... لأن أي إنسان ومهما كان معتقده يسأل دائماً نفسه هذا السؤال: ماذا بعد الموت؟ فإن كان مؤمناً فسيكون جوابه يقيناً بالعقل أنه سيعود إلى اللَّه سبحانه. يقول تعالى على لسان الكافرين يوم القيامة:

﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ .

[سورة الملك، الآية: ١٠]

فقد نفى اللَّه سبحانه العقل والسمع عن كل إنسان كان من أصحاب السعير... والذي سيكون مصيره السعير يوم القيامة لا بد أنه لم يسأل نفسه في يوم من الأيام ماذا بعد الموت؟ ولو سأل لوصل إلى الحقيقة... ولنجا وأفلح وفاز.. لأنك لو سألت ماذا بعد الموت؟ أعددت نفسك لهذا الأمر الجلل إعداداً جيداً يقيك حر السعير ونار جهنم.